مطرانية الروم الأرثوذكس في بيروت

Orthodox Archdiocese of Beirut

الرسالة

(رومية ١٣: ١١–١٤؛ ١٤: ١–٤)

يا إخوةُ إنَّ خلاصَنا الآن أقربُ ممَّا كان حين آمنَّا* قد تناهى الليلُ واقتربَ النهارُ فلندَع عنَّا أعمالَ الظُلمةِ ونلبَسْ أسلِحةَ النورِ* فنَسلُكَنَّ سُلوكاً لائِقاً كما في النهار لا بالقصوفِ والسِّكرِ ولا بالمضاجِعِ والعَهَرِ ولا بالخِصامِ والحَسدِ* بل البَسوا الربَّ يسوعَ المسيحَ ولا تهتمُّوا بأجسادِكم لقضاءِ شهواتِها* مَن كان ضعيفاً في الإيمانِ فاتّخذوهُ بغيرِ مباحثَةٍ في الآراء* مِنَ الناسِ مَن يعتقِدُ أنَّ له أن يأكُلَ كلَّ شيءٍ. أمَّا الضعيفُ فيأكُلُ بُقولاً* فلا يزدَرِ الذي يأكُلُ مَن لا يأكُلُ ولا يدِنِ الذي لا يأكُلُ مَن يأكُلُ فإنَّ اللهَ قد اتَّخذهُ* مَن أنت يا مَن تدينُ عبداً أجنبيًّا. إنَّه لمولاهُ يثبُتُ أو يسقطُ. لكنَّه سيُثبَّتُ لأنَّ اللهَ قادِرٌ على أن يُثبِّتَهُ.

مولد يوحنا المعمدان

مولد يوحنا المعمدان واحدٌ من الأعياد الأساسية في التدبير الخلاصي للبشرية. يرتبط هذا العيد ارتباطاً وثيقاً بميلاد الرب يسوع إذ إنّه ميلاد السابق الذي يعدّ الطريق أمام المخلّص. في سياق سرد الإنجيلي لوقا للحبل بيوحنا والذي يُقرأ على مسامعنا (لوقا ١: ١–٢٥؛ ٥٧–٦٨؛ ٧٦؛ ٨٠) يظهر التلازم بين هذا الحَدَث وحبل العذراء مريم. لا يوضح الإنجيليّ مجرّد تلازمٍ بين حَدثين وإنما تلازماً بين شخصين أيضاً منذ كانا جنينين في الحشا. ينبغي على المؤمن أن يتأمّل في الطاعة التي تظهر في هذا العيد.

كان زكريا الكاهن المسنّ، بحسب ما يروي لنا الإنجيلي لوقا، يبخّر في الهيكل. كان هذا الشيخ بارًّا مشهوداً له بين الكهنة. عندما شاهد ملاك الرب وتكلّم معه في الهيكل لم يؤمن زكريا، بل شكّ. نتيجة الشكّ في الرسالة الإلهيّة التي حملها الملاك، صار الشيخ أخرس ولم ينفك رباطُ لسانه حتى تحققت النبوّة. في المفهوم البشري والبيولوجي، كان الحبَل مستحيلاً وليس مستغرباً أن يشكّ به المرء إذ الزوجان كانا قد تقدّما في السنّ والزوجة عاقر. أمّا ربط اللسان فكان لأنّ الشيخ الكاهن البار وجب أن يؤمن بأنّ كلّ شيء ممكن عند الله. أمّا الحلّ الذي هو حلّ عقدة اللسان والتمكّن من الكلام فقد حصل عند إتمام المشيئة الإلهية في حين ميلاد الصبي وتسميته «يوحنا» كما أَمَر ملاك الرب .

العدد ٢٠١٢/٢٦

الأحد ٢٤ حزيران

مولد يوحنا المعمدان

اللحن الثاني

إنجيل السَحَر الثالث

كيف لا ينحلّ لسان مَن يطيع كلمة الله وينطق بمشيئته؟ شكّ زكريا كونه إنساناً، ولكن بحسب البرّ الذي كان يسلكه، ما كان منه إلاّ أن أطاع إرادة الله ودعا المولود كما أمَره ملاك الرب. قبل طاعته لم يكن قادراً على الكلام، ولكن كما أنّ العاقر تحبل وتلد ابناً كذلك الأخرس ينطق عندما يتفوّه بإرادة الله.

من ناحيةٍ أخرى، أنبأ الملاك زكريا بأنّ الولد سيكون ممتلئاً من الروح القدس من بطن أمه. هذا الأمر سيتّضح قبل الولادة. عندما سمع الجنين صوت مريم نسيبة أمّه ارتكض في بطنها مقدّماً الطاعة (لو ١: ٤٤)، طاعته لخالقه إذ عرف الجنين سيّده الذي هو جنين بدوره. سجد يوحنا لسيّده كما يُظهر الفنّ

الإنجيل

(لوقا ١: ١–٢٥؛
٥٧–٦٨؛ ٧٦؛ ٨٠)

إذ كان كثيرون قد أخذوا
في تأليف قِصص الأمور
المتيقّنةِ عندنا، كما سلَّمها
إلينا الذين كانوا معاينين
منذ البدء وخُدَّاماً لها،
رأيتُ أنا أيضاً وقد تتبَّعتُ
جميع الأشياء من الأول
بتدقيق أن أكتبها لك على
الترتيبِ أيُّها العزيز
ثاوفيلُس، لِتعرفَ صحَّةَ
الكلام الذي وُعِظتَ به*
كان في ايام هيرودسَ
ملكِ اليهوديَّة كاهنٌ اسمُه
زخريا من فرقة أبيَّا
وامرأتُه من بنات هرونَ
اسمُها أليصابات* وكانا
كلاهما بارَّينِ أمام الله
سائرَينِ في جميع وصايا
الربّ وأحكامِه بغير لوم*
ولم يكن لهما ولدٌ لأنَّ
أليصابات كانت عاقِراً،
وكانا كلاهما قد تقدَّما
في أيَّامهما* وبينما كان
يكْهَنُ في نَوبةِ فرقته أمام
الله أصابته القُرْعةُ على
عادة الكهنوت أن يدخلَ
هيكلَ الربِّ ويبخّر* وكان
كلُّ جمهور الشعب يصلّي
خارجاً في وقت التبخير*
فتراءى لهُ ملاكُ الربّ
واقفاً عن يمينِ مذبح
البخور* فاضطرب زخريا
حين رآهُ ووقع عليهِ
خوفٌ* فقال لهُ الملاكُ لا

الأيقوني الكنسي، حيث يظهر الطفلان في بطن المرأتين ويوحنا ساجداً للرب. الإرتكاض الذي يتحدّث عنه الإنجيلي ليس إلاّ سجوداً للسيد. بمجرّد سماع يوحنا صوت مريم قدّم الطاعة الواجبة للربّ وسجد لإيمانه به. والد يوحنا سمع ولم يؤمن، ولكن عندما أطاع نطق لسانه بالطّاعة لله.

في حياته، لم ينحرف المعمدان وراء أيّ إغراء عالميّ. من البديهيّ أن يكون قد تعرّض للكثير من التجارب، فالشيطان لم يوفّر فرصةً في محاولته لاقتناص البشر حتى أنّه أقدم على تجربة السيّد المتجسّد. عاش المعمدان حياته كما قال الملاك لأبيه. عاش في البريّة كملاكٍ وعندما صار الموعد انطلق يكرز بالتوبة ويعمّد. حتى الجموع الغفيرة التي أتت إليه لم تؤدّ بذاك المملوء من الروح القدس إلى التكبّر. على العكس فإنّه اعتبر أنّه ليس مستحقاً أن يحلّ سير حذاء السيد، وقد حاول رفض تعميده (مر ١: ٧). إلاّ أنّ ذاك الذي هو خاتمة الأنبياء في العهد القديم وأوّل الرسل أطاع ربّه وسيّده الآتي إليه كعبدٍ.

كيف نترجم هذه الطاعة في حياتنا اليوميّة؟ نتحدّث دوماً عن ابتعاد الناس عن الروحيّات والتصاقهم بالماديّات. في التركيبة الإجتماعية الحديثة، المادّة هي الأساس لكلّ العلاقات. أصبحت الطاعة تندرج في مراتب ثانويّة مع كثيرٍ من الفضائل التي طغت عليها المصالح الشخصيّة والربح الفردي. كما أنّ العلاقة بين الأهل والأبناء أصبحت شبه تجاريّة قائمةً على التبادل والجوائز. أصبحت طاعة الأولاد لأهلهم مشروطةً بما سيحصلون عليه بالمقابل. فئةٌ أخرى من الأهل لا يرفضون طلباً لأبنائهم فينشأ هؤلاء على الكسل والإعتياد بأنّ كلّ ما يطلبونه يحصلون عليه. من باب التطوّر في العلاقات التربويّة، يبتعد الأولاد عن الله الذي غاب عن حياتهم حتى لم يعودوا يذكرون وجوده. في حين كان الإيمان في الماضي أساس البيوت، أصبح حضور الله اليوم شبه نادر. يعلّم الأب بايسيوس الآثوسي بأنّ الطاعة هي حريّة ولكن المجرّب بدافع الشرّ يسعى لإظهارها عبوديّةً. هي الحريّة الروحيّة، هي خضوعٌ روحي لإرادة الله أي طاعةٌ له على غرار ما رأينا أعلاه مع زكريا.

إلاّ أنّ العصرنة التي دخلت مجتمعاتنا أبعدت الروحيّات. إبتعدنا عن الله بشكل ممنهج وعلى مراحل بحيث لا تتذكّر الأجيال شيئاً من الأجيال السابقة لتدرك هذا البُعد. حبّذا لو نتعلّم من المعمدان أن نكون هياكل للروح القدس وألاّ ندع أنفسنا فريسةً للوحوش بل نكون محصّنين ذواتنا بالقرب من الله وسماع مشيئته.

في الحسد

في رسالته إلى أهل رومية التي نقرأ مقطعاً منها اليوم، يطلب بولس الرسول من المؤمنين أن يسلكوا «سلوكاً لائقاً كما في النهار» مبتعدين عن «أعمال الظلمة»، ومن بينها الحسد. هذه الآفة التي تترافق مع الكبرياء والأنانية، هي من أسباب الشرّ المستشري في العالم، كونها ببساطة تناقض المبدأ الذي أوجد هذا العالم، أعني المحبة.

تَخَفْ يا زخريا. فإن طِلْبتَك قد استُجيبَتْ، امرأتُك أليصابات ستلدُ لك ابناً فتسمّيهِ يوحنَّا* ويكونُ لك فرحٌ وابتهاجٌ ويفرحُ كثيرون بمولده، لأنَّه يكون عظيماً أمام الربّ ولا يشربُ خمراً ولا مُسْكِراً، ويمتلئُ من الروح القدس وهو في بطنِ أمّه بعدُ، ويردُّ كثيرين من بني إسرائيلَ إلى الربّ إلههم* وهو يتقدَّم أمامه بروحِ إيليَّا وقوَّته ليرُدَّ قلوبَ الآباء إلى الأبناءِ والعُصاةَ إلى حكمةِ الأبرار ويهيِّءُ للرب شعباً مستعداً* فقال زخريا للملاك بِمَ أعلم هذا. فإنّي أنا شيخٌ وامرأتي قد تقدَّمت في أيامها* فأجاب الملاك وقال أنا جبرائيل الواقفُ أمام الله وقد أُرسِلتُ لأُكلِّمَك وأبشِّرك بهذا* وها إنَّك تكون صامتاً فلا تستطيعُ أن تتكلَّم إلى يوم يكون هذا. لأنَّك لم تُصدِّقْ كلامي الذي سيتمُّ في أوانِه* وكان الشعب منتظرين زخريا متعجّبين من إبطائه في الهيكل* فلمَّا خرج لم يستطِعْ أن يكلمهم فعلموا أنَّه قد رأى رؤيا في الهيكل. وكان يُشير إليهم وبقي أبكم* ولمّا تمَّتْ أيَّامُ خِدمته مضى إلى بيته* ومن بعد تلك الأيام حبلت أليصابات امرأتُه فاختبأت

قبل أن يخلق الله هذا العالم المنظور، سقط ملاكٌ منير إلى أقصى دركات الظلمة لأنه حسد خالقه وأراد أن يجعل نفسه مساوياً له. لاحقاً، عندما رأى الشيطانُ خليقةَ الله، إنساناً مخلوقاً من التراب، محبوباً ومكرَّماً جداً لدرجة أن الباري صنعهُ على صورته، صار الشيطان يحارب آدم من خلال «الحسد». أغلب الظن أن الشيطان افتكر في نفسه قائلاً: «كيف لإنسانٍ ضعيفٍ مخلوق من التراب، أن يُدعى للاتّحاد بالله والمشاركة بالمجد والنور، وأنا ملاكٌ قد فقدتُ مكانتي وابتعدتُ عن كل مجدٍ ونور ولبثت قابعاً في الظلمة؟» إن الحسود لا يفرح إلا لرؤيةِ الآخر متأذّياً ولهذا السبب فرحُه غيرُ ثابتٍ لأنّه لا يتأتى من الله الذي هو المحبة الثابتة.

عندما خلقنا الله، أعطانا شرفاً عظيماً بأن نكون على صورته وبأن نؤهَّل بنعمته للاتحاد به. لكن الشيطان خدعنا وما زال يحاول خداعنا للوقوع في الخطيئة نفسها التي وقع فيها هو، أي الحسد. خديعة الشيطان هي أنه يجعلنا ننسى ما لدينا من نعم مجانية من الله وننظر إلى ما ليس لدينا الآن لنحاول الحصول عليه بطرقٍ ملتوية. «اللهُ عالمٌ أنه يومَ تأكلانِ من ثمر الشجرة تنفتح أعينكما وتكونان كالله عارفَين الخيرَ والشر» (تكوين ٣: ٥). هكذا قالت الحيّة لآدم وحواء، فحرّكت فيهما الحسد واختارا معصية الله علّهما يصيران مساويَين لله. لم يكتفيا بكونهما على صورة الله وبدعوته لهما للإتحاد به، بل أرادا الوصول لمساواة تامة معه متناسين أنه هو مَن أعطاهما وجودهما.

إن الأذى الذي ينتج عن الحسد عظيمٌ جداً، وهو لا يطال المحسود فقط بل الحاسد أيضاً ولنا في ذلك أمثلة كثيرة. لقد سقطت ملائكة من النور إلى الظلمة نتيجة الحسد. كذلك فَقَدَ الإنسان فردوسَ النعيم ودخل عليه الموت نتيجة الحسد. ثم دفعَ الحسدُ بقايين أن يقتل أخاه هابيل الذي قَبِلَ الله تقدمته، فصار قايين الحسود ملعوناً من الأرض (تك ٤: ٨–١١). أبناء يعقوب حسدوا أخاهم يوسف فباعوه للإسماعيليين (تك ٣٧: ١١). داود دفع أوريّا للموت لأنه حسده وأراد أن يحصل على زوجته (٢ صمو ١١:٢). أما الرب يسوع «الذي إذ كان في صورة الله لم يحسِب خِلسةً أن يكون مُعادِلاً لله» (في ٢: ٦)، وتجسد لخلاص العالم، فقد أسلمه رؤساء كهنة اليهود للصلب حسداً (متى ٢٧: ١٨).

إن الحسد يسيء لصاحبه قبل الآخرين، فهو يأكل النفسَ التي يسكنها كما يأكل الصدأُ الحديد. الحسود لا يعرف الفرح والتعزية كونه دائماً مغتمًّا من أجل سعادة الآخرين، هو ينظر دائماً إلى ما يملكه الآخرون مقارناً إيّاه مع ما لديه هو، متناسياً نِعَم الله التي يحصل عليها مجاناً. في هذا السياق، نتألّم عندما نرى الحسد يتغلغل بسرعةٍ في مجتمعنا. هناك قولٌ شعبي مفادُه أن ما يميّز اللبناني هو أن الأوّل يعمل ما يعمل الثاني! نحن نرى الناس حولنا يتملّكهم الحسد والغيرة بعضهم من بعض فيسعى كلُّ إنسانٍ لتحقيق ما يحقّقه جاره وقريبه لو اضطر أن يختلس أو يسرق أو يحيا في الدَّين.

من الضرورة بمكان أن يعي الإنسانُ عموماً والمؤمنُ بشكل خاص خطورة الحسد على الحياة

خمسةَ أشهرٍ قائلةً هكذا صنع بي الربُّ في الأيام التي نظر إليَّ فيها ليصرِفَ عنّي العارَ بين الناس* ولمّا تمَّ زمانُ وَضْعِها ولدت ابناً* فسمع جيرانها وأقاربُها انَّ الربَّ قد عظَّم رحمتَهُ لها ففرحوا معها* وفي اليومِ الثامنِ جاءوا ليختنوا الصبيَّ فدَعَوهُ باسم أبيه زخريا* فأجابت أمُّه قائلةً كلا لكنَّه يُدعى يوحنَّا* فقالوا لها ليس أحدٌ في عشيرتِك يُدعى بهذا الإسم* ثمَّ أومأوا إلى أبيهِ ماذا يريد أن يُسمَّى* فطلب لوحاً وكتب فيه قائلاً اسمُه يوحنا. فتعجَّبوا كلُّهم وفي الحال انفتح فمهُ ولسانُه وتكلَّم مباركاً الله. فوقع خوفٌ على جميعِ جيرانِهم وتُحدث بهذه الأمور كلِّها في جميعِ جبالِ اليهودية* وكان كلُّ مَن يسمع بذلك يحفظُهُ في قلبه ويقولُ ما عسى أن يكون هذا الصبيُّ* وكانت يدُ الربّ معه* فامتلأ أبوهُ زخريا من الروح القدس وتنبَّأ قائلاً: «مباركٌ الربُّ إله إسرائيلَ لأنَّه افتقدَ وصنع فِداءً لشعبه* وأنت أيُّها الصبيُّ نبيَّ العليِّ تُدعى لأنَّك تسبِقُ أمام وجه الربّ لتُعدَّ طُرقه»* أمَّا الصبيُّ فكان ينمو ويتقوَّى بالروح وكان في البراري إلى يومِ ظهوره لإسرائيل.

الروحية والاجتماعية. هذا المرض الفتّاك لا نواجهه فقط من خلال القناعة التي هي كنزٌ لا يفنى، بل أيضاً من خلال المحبة التي لا شيء في الدنيا أغلى منها. إن القناعة تعلّمنا الفرح والإكتفاء بما لدينا في حين أن المحبة تعلّمنا أن نفرح لفرح الآخرين وأن نستغني عما نملكه لنغني الآخرين، «فلا نكنِ مُعجبينَ نُغاضِب بعضنا بعضاً ونحسُد بعضُنا بعضاً» (غلا ٥: ٢٦). فقط عندما نصل إلى المحبة الكاملة نكون في الفرح الدائم وليس عبر سعينا للإمتلاء من أمور هذا العالم المتنوعة كالمال والسلطة والجمال، فهذه مهما عظمت لا حياة فيها بل الحياة هي عند معطي الحياة الذي هو محبة. لذلك يوصينا بولس الرسول قائلاً: «لِتصِر كلُّ أمورِكم في محبَّةٍ» (١ كور ١٦: ١٤).

في شوق الدنيا

قال الرب انه لا يستطيع أحد أن يقتني محبة الله وشوق الدنيا في الوقت نفسه، ولا يستطيع أن يكون في شركة مع الله وهو شريك العالم، ولا أن يهتم بالله وهو منغمس في الإهتمامات الدنيوية (متى ٦: ٢٤). عندما نهمل أعمال الله بدافع المجد الباطل أو من أجل سد حاجات الجسد، عندئذ نترك، نحن الذين أخذنا على عاتقنا أن نعمل أعمال ملكوت السموات، تلك الأمور الروحية ونسعى وراء غيرها ناسين ما قد وَعَدنا به الرب بأننا إذا جعلنا اهتمامنا كله بملكوت السموات فلن يحرمنا من حاجات الجسد، بل ننالها كلها لأنه لن يتركنا نهتم بمثل هذه الأشياء (متى ٦: ٣٣).

فإذا كان الله يهتم بالطيور التي خُلقت من أجلنا، فهل يهملنا نحن؟ كلا، لأن مَن يهتم بالروحيات، أو بقسم منها، تُهيّأ له الجسديات في أوانها من دون أن يهتم أو يتعب في سبيلها. أمّا مَن يهتم بالجسديات أكثر مما ينبغي فهو ينفصل عن الله رغماً عنه. لكن إذا اهتممنا بالجهاد في سبيل ما يتمجد به اسم الرب فعندئذ يهتم هو أيضاً بالإثنين كليهما (بالجسديات وبالروحيات) وذلك بمقدار جهادنا.

القديس إسحق السرياني

جناز الكهنة

جرياً على العادة السنوية، تقام صباح الأحد ١ تموز ٢٠١٢ في كافة كنائس أبرشية بيروت وتوابعها خدمة القداس الإلهي لراحة نفوس كافة الإكليريكيين والعلمانيين الذين خدموا الأبرشية ورقدوا على رجاء القيامة.

أمسية أناشيد

تقيم جوقة الأولاد «Choeur d'enfants» التابعة لمكتب التربية المسيحية في أبرشية بيروت أمسية أناشيد بعنوان: «بسمة حلوة» وذلك عند الساعة السابعة من مساء الأحد ١ تموز ٢٠١٢ على مسرح مدرسة زهرة الاحسان.

بالامكان الإطلاع على النشرة أسبوعيًا على صفحة الإنترنت:

www.quartos.org.lb